بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى في سورة بني اسرائيل يسبح بالتاء والياء السموات السبع والارض جبال
الدال على وجود الخالق وقدرته وحكمته ويسبح له من فيهن من الملائكة والناس والجن بلسان المقال فان قيل
قوله من فيهن يتناول الادميين كلهم والمراد به العموم والكفار يصفون اليه الزوج والولد والشريك فاين تسبيحهم
قلنا الضمير في قوله تعالى ومن فيهن راجع الى السموات فقط وقيل انه راجع اليها لكن المراد المؤمنون فيكون عاما
اريد به الخاص وعلى هذا يكون المراد بالتسبيح المسند الى من فيهن تسبيح المؤمنين بلسان المقال فان قيل ومن فيهن
وهم الملائكة والثقلان يسبحون حقيقة والسموات والارض والجمادات يسبحون مجازا فكيف جمع ارادة الحقيقة
والمجاز في لفظ واحد وهو قوله تعالى تسبح قلنا التسبيح المجازي بلسان الحال حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه دفعا
لما ذكرتم من المحذور والا لكانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز وان من شيء اي موجود
من الحيوانات والناميات الا يسبح اي ينزهه مما لا يجوز عليه من الشرك والولد ملابسا بحمده تعالى قال ابن عباس رض
وان من شيء حي الا يسبح وقال عكرمة رض ان الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح وقيل كل الاشياء
تسبح حيا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده وهذا ممكن عقلا وقدرة وقيل ان الورقة تسبح
مادامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والتراب يسبح ما لم يبتل واذا ابتل ترك والماء يسبح مادام
جاريا فاذا ركد ترك وكل حيوان يسبح مادام يصوت فاذا سكت تركه ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون
لانه ليس بلغتكم وروي عن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلعم من قال حين يصبح مائة مرة سبحان الله وبحمده
لم يأت احد يوم القيمة افضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قاله او زاد عليه بقوله سبحان العظيم وبحمده وروي
عن ابن عباس رض ان رسول الله صلعم قال من قال اذا اصبح سبحان الله الف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان
آخر يومه عتيق الله تعالى وروي عن ابن منصور الديلمي رض انه قال قال رسول الله صلعم افضل الكلام اربع سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدأت رواه مسلم المراد من الكلام كلام البشر لما روي
انه عم قال افضل الذكر بعد كتاب الله تعالى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وانما كان هذه الاربع
احب لاشتمالها على جملة انواع الذكر من التنزيه والتحميد والتوحيد والتمجيد وروي عن انس بن مالك رض بينما جالس
مع رسول الله صلعم اذا اقبل رهط من اليهود فقالوا انت الذي تزعم انك رسول الله قال انا سيد ولد آدم عم
ولا فخر لي وامام المتقين ولا فخر لي قالوا يا محمد الى العرب ارسلت ام العجم ام الينا قال اني رسول الله اليكم جميعا
قالوا يا محمد نسئلك عن كلمات لا يعلمها الا نبي مرسل او ملك مقرب وجدنا من زمن موسى عم نحفظها دون
فقال عم لهم اسئلوني تفقها ولا تسئلوني تعنتا فقالوا اخبرنا عن الكلمات التي اختارهن الله تعالى لابراهيم عم
حين امره ببناء الكعبة وهو اس كل ثناء وتحميد وتكبير قال عم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
قالوا صدقت يا محمد ولكن لم جعل الله تعالى الكعبة مربعا وتربيعها مكتوب عندنا في التورية فقال رسول الله صلعم ان الله تعالى
امر لابراهيم عم ببنائه بحذاء بيت المعمور فجاء جبرائيل فقال ابن الركن الاول على قولك سبحان الله والركن الثاني على قولك
الحمد لله والركن الثالث على قولك لا اله الا الله والركن الرابع على قولك والله اكبر فلذلك صارت الكعبة مربعة قالوا
صدقت يا محمد فاسلموا جميعا ومن ذكر الله تعالى بهؤلاء الكلمات كان ثوابه كثواب من بنى الكعبة وفي الخبر ثلثة اشياء

اشياء لا يوازين عند الله تعالى جناح بعوضة احدها الصلوة بالعادة والثاني الذكر بالغفلة
والثالث الصلوات على محمد من غير تعظيم وحرمة فعلم منها ان زينة الاعمال النية ولهذا قال رسول الله صلعم
نية المؤمن خير من عمله لان للعمل نهاية والنية لا نهاية لها فالمسلم وان قل عمره اذا مات على الاسلام فانه
في الجنة ولا يقع في النار خالدا والكافر يخلد في النار وان كان عمره اقل ولو كان هذا بالعمل لكان لكل واحد منهما
نهاية ولكن التخليد فيهما يكون بالنية لان نية المسلم هو الاسلام على الابد ونية الكافر هو الكفر على الابد فيبقى
كل واحد منهما ببقاء نيته قوله نية المؤمن خير من عمله الخالي عن النية لان العمل يخالطه الرياء والنية
سالمة عن الرياء او نقول معناه انه اذا عمل عملا صالحا مقرونا بالنية كانت النية في الفضيلة اشرف
من نفس العمل المقارن لتلك النية لان العمل كالجسم والنية كالروح للعمل لان المؤمن لا يثاب على عمله الخالي عن النية
لقوله عم لا اجر لمن لا نية له وقيل انما كانت النية خيرا من العمل لانها تحتمل التعدد والكثرة في العمل الواحد فيضاعف
له العمل بقدر النيات فيه مثل ذلك لا يأتي في العمل مثلا اذا جلس في المسجد بنية الاعتكاف ونية انتظار الصلوة
والخلوة والعزلة عن شواغل القلب ونية زيارة بيت الله تعالى ونية حفظ السمع والبصر واللسان [illegible]
ونية عمارة المسجد بالذكر فانه لا يكون في الثواب كمن جلس بلا هذه النيات التسع كما روي عن النبي صلعم
انه قال يؤتى بالعبد يوم القيمة وفيه من الحسنات كامثال الجبال فينادي مناد من كان له كلمة على فلان بن فلان
فليجئ فليأخذ فيجئ الناس فيأخذون من حسناته حتى لم يبق له من حسناته شيء ويبقى العبد حيرانا فيقول الله
ان لك عندي كنزا لم يطلع عليه ملك ولا احد من خلقي فيقول يا رب ما هو فيقول الله تعالى نيتك التي كنت تنوي من الخير
كتبته لك سبعين ضعفا وان الرجل ليكتب له الحسن بنية الصدقة والصلوة والحج والعمرة وان لم يعملها اذا صدقت
نيته وخلصت في ذلك وقد يقال ان واحدا من الصحابة نوى بناء قنطرة في موضع منهم فاذا سبقه يهودي
ببنائها فاذا اخبر ذلك عند حضر من الجماعة وفيهم عمر رض فقال تسليا له نية المؤمن خير من عمله اي من عمل ذلك الكافر
فقيل اجاب الشيخ فخر الدين بجوابين احدهما ان هذا ورد عن سبب وهو ان النبي عم وعد بثواب على حفر بئر فنوى
عثمان رض ان يحفرها فسبقه اليها كافر فحفرها فقال صلعم نية المؤمن يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر وفي هذا الجواب
ضعف لان افعل التفضيل يقتضي المشاركة وعمل الكافر لا خير فيه البتة الا ان يقال سماه خيرا باعتباره في نفسه وان لم يثب
عليه بدليل انه عم قال اذا اسلم يثاب عليه من غير تضعيف كما روي في سند البزار انه اذا اسلم يثاب على كل طاعة حسنة
واحدة من غير تضعيف لكن في صحيح البخاري انه عم قال الشخص اذا اسلم يثاب على ما اسبقت من خير والثاني ان نية المجردة
من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية وقال بعضهم هذا الحديث سبق لبيان ان عمل السر افضل من عمل العلانية
لان النية اعمال الباطن والافعال من اعمال الظاهر وليس على اطلاقه الباطنة وذلك كفرائض الصلوة واقامة الجماعة وما اشبهها

Copyright King Saud University